أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم وأثره في استجابة الخطاب الدعوي

The method of striking proverbs in the Noble Qur'an and its impact on the response to the call speech

د. السعيد مسعي محمد *

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي، الجزائر.

mesai-mohammed-said@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2022/02/04 تاريخ القبول 2022/04/26 تاريخ النشر 2022/05/04

ملخص:

يهدف هذا الموضوع إلى تبيان سمة من سمات أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم وبيان مكانته وأهميته في فضاء الدعوة الإسلامية، كما يسعى أيضا إلى بيان الأثر الدعوي الذي يخلفه هذا الأسلوب في استجابة الخطاب الدعوي الموجه للمدعوين، ومن أجل ذلك جاءت الدراسة مقسمة في العناصر التالية: أولا تحديد المفاهيم ومتغيرات الموضوع، ثانيا: أهمية أسلوب ضرب الأمثال في إيضاح بلاغة الخطاب الديني، والعنصر الثالث والأخير أثر أسلوب ضرب الأمثال في استجابة الخطاب الدعوي ونجاح الدعوة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: أسلوب، ضرب الأمثال، أثر، استجابة، الخطاب الدعوي.

Abstract:

This subject aimed at clarifying characteristic of The method of multiplication of proverbs in the Holy Quran, And explain its importance and its place In the space of the Islamic call, it also seeks to statement the call impact who successor him in response the call speech addressed

* **المؤلف المراسل**

fromthe God to the kind invited to the way of Allah, for this reason, the study was divided into the following elements: first, defining the concepts and variables of the subject, second: the importance of the proverbial method in clarifying the eloquence of religious discourse, and the third and final element the impact of the proverbial method in the response of the advocacy discourse and the success of the Islamic call

key words: method; proverbs; impact; response; call speech.

مقدّمة:

لقد تعددت الأساليب الدعوية في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى أكثر من أسلوب، وذلك تبعا لما يقتضيه حال الداعية أثناء القيام بواجب خدمة الدين ونشر الإسلام، ولا يتأتى هذا العمل المبارك إلا بما أقر الشارع الحكيم في نصوص الوحي الإلهي من مناهج انتهجها ورضي بها في رحاب الدعوة والاستجابة للخطاب الديني، وفي ظل منحى هذا الحيز استحوذت المناهج الدعوية على العديد من الأساليب التي تمكّن الداعية من إيصال ما أمر به الله تعالى أن يوصل من أحكام وتشريعات وقيم على أحسن وجه مطلوب وأدق صورة مثالية منشودة.

ومن ضمن هذه الأساليب "أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم" حيث يعد هذا الأخير من أنجع الأساليب الدعوية وأكثرها تأثيرا في النفس والوجدان، والتي لها بعدا كبيرا في استجابة الخطاب الدعوي وتقريب المعنى واختصار الكثير في القليل لأي مسألة ضربت من أجل تحقيق الغاية والهدف من إيجاد الناس من العدم إلى الشهود في حضرة الوجود امتثالا واستجابة للخطاب الديني وتفعيل أحكامه وتطبيقها على أرض الواقع.

- **إشكالية الموضوع:**

في خضم معطيات السابقة وما تؤول إليه حقيقة الموضوع نطرح الإشكالية التالية: فيما تكمن أهمية أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم؟ وما أثره في استجابة الخطاب الدعوي؟

- **أهمية الموضوع:**

تتجلى أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- التعريف بأسلوب ضرب الأمثال.
- بيان مكانة أسلوب ضرب الأمثال بين الكتاب والسنة.
- بيان أهمية ضرب الأمثال في تقريب المعنى واستجابة الخطاب الدعوي.
- تبيان جملة من صور أسلوب ضرب الأمثال في الدعوة الإسلامية.
- بيان الأثر الذي تخلف ضرب الأمثال في عملية الإقناع والوعظ والإرشاد.
- الدعوة إلى الاهتمام بدراسة الجوانب البلاغية والبيانية لأسلوب ضرب الأمثال.

- **أهداف الموضوع:**

تهدف الدراسة إلى تبيان جملة من الأهداف نذكر منها:

- يهدف الموضوع إلى الاستغراق في معاني ضرب الأمثال.
- تبيان الأغراض البلاغية المنشودة من ضرب الأمثال.
- تهدف الدراسة إلى تبيان الأثر الدعوي الذي يخلف أسلوب ضرب المثل .

- **منهج الدراسة:**

نظرا لطبيعة الموضوع اقتضت الدراسة المنهج الوصفي التحليل الذي يحتم علينا جمع المادة العلمية وتحليلها وفقا للمطوب وكذا الاستعانة بالمنهج المنهج الاستقرائي ولتجسيد هذا المنهج وللإجابة عن الإشكالية المطروحة السابقة نتبع الخطة التالية: أولا تحديد المفاهيم ومتغيرات الموضوع، ويتضمن كل من تعريف الأمثال لغة واصطلاحا، وكذا تعريف الخطاب الدعوي، ثانيا: أهمية ضرب الأمثال وأثرها في إيضاح بلاغة الخطاب الدعوي واستجابته.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم

تختلف التعاريف لمتغيرات البحث من زاوية لأخرى وذلك راجع لاختلاف منظور كل باحث من هذه المصطلحات كما تختلف أيضا من ناحية الدلالة اللغوية التي ترمي إلى تحديد المعنى الحقيقي لكل مصطلح.

المطلب الأول: مفهوم أسلوب ضرب الأمثال

لتحديد معنى أسلوب ضرب الأمثال يحتم علينا الإحاطة بالجانب اللغوي الذي يساعد على مقاصد المصلح،

الفرع الأول: تعريف الأمثال لغة واصطلاحا

1/- الأمثال لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (مثل): "الْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. وَهَذَا مِثْلُ هَذَا، أَيْ نَظِيرُهُ، وَالْمِثْلُ وَالْمِثَالُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ. وَرُبَّمَا قَالُوا مَثِيلٌ كَشَبِيهٍ. تَقُولُ الْعَرَبُ: أَمْثَلَ السُّلْطَانُ فُلَانًا: قَتَلَهُ قَوَدًا، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ فَعَلَ بِهِ مِثْلَ مَا كَانَ فَعَلَهُ. وَالْمَثَلُ: الْمِثْلُ أَيْضًا، كَشَبَهٍ وَشِبْهٍ. وَالْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهُ يُذْكَرُ مُوَرًّى بِهِ عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى"[(1)]

وجاء في المصباح المنير أن " (م ث ل) : الْمِثْلُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ بِمَعْنَى الشَّبِيهِ وَبِمَعْنَى نَفْسِ الشَّيْءِ وَذَاتِهِ وَزَائِدَةٍ وَالْجَمْعُ أَمْثَالٌ وَيُوصَفُ بِهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ وَالْجَمْعُ فَيُقَالُ هُوَ وَهِيَ وَهُمَا وَهُمْ وَهُنَّ مِثْلُهُ."[(2)]

2/- الأمثال اصطلاحا:

يعرفها الأصفهاني بقوله: " والمثَلُ عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبيّن أحدهما الآخر ويصوّره، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال، فقال: (وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (الحشر: 21)"[(3)]

الفرع الثالث: الخطاب الدعوي

1/- الخطاب لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: "يُقَالُ: خَطَبَ فلانٌ إِلَى فلانٍ فَخَطَّبَه وأَخْطَبَه أَي أَجابَه. والخِطابُ والمخاطَبَة: مُراجَعَة الكَلامِ، وَقَدْ خاطَبَه بالكَلامِ مُخاطَبَةً وخِطاباً، وهُما يَتخاطَبانِ"(4)، وفي أساس البلاغة للزمخشري في مادة (خ ط ب): "خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام. وخطب الخطيب خطبة حسنة. وخطب الخاطب خطبة جميلة. وكثر خطّابها. وهذا خطبها، وهذه خطبه وخطبته. وكان يقوم الرجل في النادي في الجاهلية فيقول: خِطْب، فمن أراد إنكاحه قال: نكحٌ. واختطب القوم فلاناً: دعوه إلى أن يخطب إليهم، يقال: اختطبوه فما خطب إليهم"(5).

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الخطاب هو كلام موجه للمخاطبين يراد منه تحقيق شيء مطلوب، ويختلف هذا الخطاب على اختلاف مناسباته ومواضيعه. فمن ذلك: الخطاب الديني والخطاب الاجتماعي والسياسي والخطاب العسكري.

2/- **الدعوة لغة**:

تفاوتت معان لفظ الدعوة في اللغة والاصطلاح على حسب الدلالة ومضمون الكلمة ومنزلتها في الجملة، ومن جملة التعاريف نذكر:

قال ابن منظور: دَعا الرجلَ دَعْواً ودُعَاءً: نَادَاهُ، وَالِاسْمُ الدَّعْوَة. ودَعَوْت فُلَانًا أَي صِحْت بِهِ واسْتَدْعَيْته(6)، وقال أيضا: المرة الواحدة من الدعاء، وتداعى القوم دعا بعضهم بعضا حتى يجتمعوا، والدُّعاة قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وأحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو النَّاس إلى بدعة أو دين(7).

3/- **الخطاب اصطلاحا**: اختلفت أراء الكُتاب والباحثين حول مدلول الخطاب في الجانب الاصطلاحي وذلك من باحث لآخر من هذه التعاريف نقتصر على التعريف التالي بمثابة تعريف جامع: يعرفه المناوي بقوله: "الخطاب هو القول الذي يفهم المخاطَب منه شيئاً"(8).

4/- **الدعوة اصطلاحا**: تعدد مفهوم الدعوة في الجانب الاصطلاحي من داعية وباحث لآخر وذلك لاختلاف منظور كلا منهم ومن جملة هذه التعاريف نذكر:

عرّفها علي محظوظ بقوله: "حث النَّاس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"(9)، وعرَّفها محمد الغزالي بقوله: "هي برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها النَّاس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطَّريق التي تجمعهم راشدين"(10)

المبحث الثاني: أهمية ضرب الأمثال وأثرها في إيضاح بلاغة الخطاب الدعوي واستجابته

أددت جميع الأساليب الدعوية في القرآن الكريم على اختلاف أنواعها وأقسامها إلى تحقيق غاية نبيلة وهدف مشترك ألا وهو إثراء الوسط الدعوي بالآليات الفنية والمعنوية بغية التفاعل الإيجابي من قبل الجمهور المخاطب مع الرسالة المطروحة لديهم.

المطلب الأول: أهمية ضرب الأمثال في ضوء النصوص القرآنية

لقد تعددت صور أهمية أسلوب ضرب الأمثال في نصوص الآيات القرآنية من موضع لآخر وذلك تبعا لمقتضى تشريع الآية وموضوعها، وإن تشابهت لغة النصوص في صياغة الكلام فلا يدل بالضرورة ذلك على تشابه محتوى الآية، وذلك لإعجاز بلاغة الخطاب القرآني في الأحكام والتشريع، وعليه فقد احتلت الأمثال في القرآن الكريم مكانة وأهمية بالغة في السور والآيات ومن بين الأمثال في القرآن الكريم نذكر :

قال تعالى: (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)(11)، وقال أيضا: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ)(12)، وقال جلَّ وعلا: (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)(13) وقال تعالى بصورة عامة حول الأمثال:

(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)[14] وقال أيضا: (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[15].

والناظر في حقيقة الأمثال وضرب للناس لم تكن تعابير إنشائية لتزين النص ونظم الكلام وإنما كانت لها أهداف دعوية ومقاصد دينية حيث أن "غاية المثل القرآني: إصلاح النفوس، وصقل الضمائر، وتهذيب الأخلاق، وتقويم المسالك، وتصحيح العقائد، وتنوير البصائر، والهداية إلى ما فيه خير الفرد، وصلاح الجماعة، والتنبيه إلى المساوئ لتجتنب، وإلى المحاسن لتقبل عليها النفوس الطيبة والقلوب الزكية"[16].

"وتصريف الآيات يشمل تنويع الحجج والبراهين على قضية واحدة، فيؤتى للقضية الواحدة بأكثر من دليل وبرهان، فتتابع عليهم الحجج وتُصرّف لهم الأمثال والعبر. ويشمل تصريف الآيات تنويع الأساليب، فيؤتى بالدليل الواحد بأكثر من أسلوب: فتارة بالخبر، وتارة بالاستفهام، وأخرى بالنفي والإثبات، وأحيانا بضرب الأمثال أو القصص، ونحوها. وكل ذلك وارد في القرآن"[17]. وعليه "فالأمثال جزء من البيان الإلهي، تسهم في إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوبها المتميز الفعال في تشخيص الحقائق والإقناع، والفصل عند الاشتباه والخلاف. وخاصة قضايا الإيمان التي وقع فيها الخلاف: كالأصول التي ينبني عليها الإيمان بالله، وأساب الهدى والضلال، توحيد الألوهية وما يضاده من الشرك، والبعث بعد الموت، وحقيقة الأنبياء والأولياء وأن ليس لهم ولا فيهم من خصائص الألوهية شيء، وحال الدنيا وسرعة زوالها وسوء الاغترار بها، ونحو ذلك من القضايا الهامة"[18].

"والأمثال القرآنية يفصّل الله بها آياته من الحجج والعبر والمواعظ، ونحوها. بين الله ذلك –سبحانه– بعد أن أورد مثلا لبيان حال الدنيا وما تؤول إليه، حيث قال تبارك وتعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا

يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)[19]. وقد أشاد الله سبحانه بأمثال القرآن مبينا أنه اشتمل على كل مثل من الحق يحتاجه الناس، وأن السبيل قد استبان بتلك الأمثال. وما بقي على الناس إلا أن يتفكروا بها ويذكروا"[20].

وفي سياق هذا المضمار لقد صرّف العلي القدير في القرآن الكريم للناس من كل مثل يُبدى لهم ويقرب ويوضح لهم حقيقة كل أمر ومآله، حتى لا يكون على الله حجة بعد الرسل وإنزال الذكر المبين، ولكن من صرف الله قبله عن وجهة الحق أضله وأعمى بصيرته –والعياذ بالله– قال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا)[21]، وعقب هذا التطاول على أنبياء الله تعالى لما جاءت بالبيات وعقب التصدي عن الإسلام وابعاده عن زوايا الحياة الاجتماعية كدين يضبط ويحكم حركة الحياة بما يصلح بالناس ويتفاعل إيجابا مع متغيرات الزمن والحياة إلا أن من أنكره أراد بذلك أن تكون طبيعة الحياة وفقا لمجرى هواهم المتبع وبهذا توعهم الحق تبارك وتعالى بالعذاب الأليم قال تعالى: (وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۝ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ۝ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)[22] وقال أيضا: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)[23]، وقال تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)[24].

ولضرب الأمثال مكانة كبيرة في تفسير القرآن الكريم، ولقد استقطب هذا الأمر الكثير من علماء اللغة العربية في تقريب المعاني الراجحة في تفسير القرآن الكريم ولعل من بين هذه الأعلام اللغوية نجد الداعية والأديب اللغوي مفسر القرآن في العصر الحديث والمعاصر الشيخ الشعراوي، حيث استشهد بالعديد من ضرب الأمثال في تفسيره للقرآن الكريم ومن صور ذلك الاستشهاد نجد تفسيره للآية 17 من سورة البقرة: "ضرب الأمثال يقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافــر ودها ++++++ مثل الزجاجــة كســـرها لا يجبر

ذكر المفسِّر هذا الشَّاهد، ضمن خواطره حول قول الله عزَّ وجلَّ في الآية القرآنية الكريمة: (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ)[25].

ويوضح المفسِّر بهذا الشَّاهد كيفية ضرب الأمثال، فالقلوب عندما تتنافر مثلها تماماً مثل الزجاج المكسور. فالبيت شاهد على ضرب مثال: مسألة غيبية غير محسوسة (وهي تنافر القلب) بمسألة واقعية محسوسة وهي (الزجاج المكسور). وبهذا الشَّاهد يُقرِب المفسِّر صورة ضرب الأمثال ويوضحها للنَّاس، حيث أن الآية القرآنية الكريمة تضرب مثالاً على صفات التَّمزق عند المنافقين، وهي صفة غير محسوسة ولكنها موجودة بينهم"[26].

المطلب الثاني: مكانة أسلوب ضرب الأمثال في رحاب الدعوة الإسلامية وأثرها في انجاحها.

يعد ضرب الأمثال في القرآن الكريم من أنجع أساليب الخطاب الدعوي لما يتضمن من أعجاز بياني في تقريب المعنى وإزالة اللبس والإشكال اللغوي والغموض عن كل آيات التشريع والأوامر الإلهية المستوحاة نصوص أحكامها من فيض الوحي الإلهي، والتي أمر الله عزَّ وجلَّ بإيصالها إلى كل من وجبت له الدعوة بغية للامتثال إلى تطبيق آيات التوحيد وإفراد الملك الديان بمفرد العبادة، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به تبارك وتعالى،

ومن أجل ذلك جاءت النصوص الشرعية على اختلاف مضامينها ومناسباتها تدعو الجميع إلى الالتفاف حول منحى واحد في العبادة ومحور أساسي تدور عليه جميع أفلاك النفس البشرية بالإقرار بتوحيد الله والإيمان به عزَّ وجل وبما أنزل وعلى من أنزل القرآن والشرائع السماوية.

ولا شك أن توضيح هذه الصور من وجوه التشريع الإلهي يحتاج إلى آليات حسية ومعنوية وأساليب فنية يمكن من خلالها إقناع الناس بما استوجب الشارع الحكيم عليهم لاسيما في نصوص الخطاب الدعوي تجاه المدعوين، ومن أجل ذلك انقسمت الأمثال في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام وهي: النوع الأول منها يسمى الأمثال المصرحة: وهي هي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه[27]، ويتجلى مثال ذلك في القرآن قوله تعالى: (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا)[28]، والنوع الثاني من هذه الأمثال يسمى الأمثال الكامنة: وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز، يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها[29]، ومثاله في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)[30]، أما القسم الثالث من هذه الأنواع هو الأمثال المرسلة: وهي جمل أرسلت إرسالا من غير تصريح بلفظ التشبيه فهي آيات جارية مجرى الأمثال[31]، وما يبين مثال ذلك قوله تعالى: (لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ)[32].

في حين لا يزال ضرب الأمثال في القرآن الكريم من أدقّ صور الإعجاز البياني لإخراج المعنى في أحسن حلة في عرض وتقديم المسائل الشرعية للتطبيق، ولذا تعددت صور ومظاهر آيات ضرب الأمثال في القرآن الكريم نذكر منها على التوالي:

قال تعالى في مستهل سورة البقرة: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ

اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ)[33]. وقال تعالى: (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ)[34]،

كما تنوعت مواضع ضرب الأمثال في حيز الدعوة ونشر الأخلاق الحسنة فيما بينهم وذلك كله من موضع للأخر تبعا لمقتضى الحال الدعوي الذي يوجب استدعاء المثل المناسب لهذا المقام، وعملا بواجب تشريع الآيات المحكمة لعلاقات الاجتماعية للمسلين والمؤمنين فيما بينهم والمبني على قيم التعايش الاجتماعي كالمحبة والتآزر والتعاون ومن صور هذه الأمثال في السنة النبوية المطهرة عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» [35]، وقال موضع آخر وهو صلى الله عليه وسلم يُميز بين الجليس الصالح وجليس السوء قال ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ المِسْكِ وَكِيرِ الحَدَّادِ، لاَ يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ المِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ، أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ، أَوْ ثَوْبَكَ، أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً»[36].

وفي خضم هذه المعطيات القرآنية والسنية " بيّن سبحانه أنه ضرب للناس أمثالهم التي يتعرفون بها على الهدى والضلال، والخير والشر، والحق والباطل، وما آل إليه أهلها من العواقب الحميدة، أو النهايات السيئة الوخيمة. قَال تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّه لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ). وأعظم أمثال القرآن أهمية، وأرفعها شأناً ومنزلة، الأمثال الإيمانية، التي تبين أركان الإيمان، وتبين أسس الدين، وتعرف بالله رب العالمين، وبحقه على عباده، وغير ذلك من المطالب الإيمانية"[37].

ومن خلال ما سبق "يمكن حصر الأغراض التي تُضرب لها أمثال القرآن بما يلي:

1-ضرب المثل لإيضاح المراد، وتقريبه للمخاطب.

2-إقامة الحجة والبرهان.

3-الإقناع بالترغيب في الحقّ، وتحسينه، والترهيب من الباطل، وبيان قبحه، والمدح والذم.

4-الدلالة على كثير من الحكم والفوائد العلمية.

-5 التربية بإبراز القدوة الحسنة، والحث على الاقتداء بها، والتنفير من ضدها"[(38)].

وفي دائرة التأثير والتفاعل الإيجابي لقد كان لأسلوب ضرب الأمثال في نجاح الدعوة الإسلامية أثر بالغ ومشهود، حيث اتسعت جعرافيا الإسلام جراء اتباع الأساليب الدعوية التي دلت عليها النصوص القرآنية لتبقى أسوة حسنة لمن كان يرجوا القبول واستجابة خطابه الدعوي ضمن مسيرته الدعوية عند مختلف أطياف الأمم والشعوب، فكل ذلك لم يكن مقصورا على كلمات تعبيرية يتفنن في إلقائها الدعاة في دعوتهم بل هي ترجمة عملية لنصوص الأمثال المضروبة والمصرح بها في القرآن الكريم على اختلاف أنواعها وأقسامها.

وحينما أراد الله تبارك وتعالى قيام وأعلاء كلمته ونشر الدين الإسلامي أقام على كافة خلقه بشتى العبر والأساليب الدالة على ذلك لكي لا يكون حجة للخلق على الله عزَّ وجل وبعث الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام متحلِّين بجملة هذه الأساليب في سياقة تبليغ ما أمر الله به أن يوصل، يقول ابن تيمية: "الرسلُ ضربَتْ للناس الأمثالَ العقلية التي يعرفون بها التماثل والاختلاف، فإنَّ الرسل دلَّتِ الناسَ وأرشدتهم إلى ما به يعرفون العدل، ويعرفون الأقيسة العقلية الصحيحة التي يستدل بها على المطالب الدينية، فليست العلوم النبوية مقصورةً على مجرد الخبر، كما يظُن ذلك مَن يظنه من أهل الكلام، ويجعلون ما يعلم بالعقل قسيمًا للعلوم النبوية، بل الرسل صلوات الله عليهم بيَّنتِ العلومَ العقلية التي بها يتم دينُ الناس علمًا وعَملًا، وضُرِبت الأمثال، فكملت الفطرة بما نبَّهتها عليه، وأرشدتها مما كانت الفطرة معرِضة عنه، أو كانت الفطرة قد فسدت بما حصل لها

من الآراء والأهواء الفاسدة، فأزالت ذلك الفساد، وبيَّنت ما كانت الفطرة معرضة عنه حتى صار عند الفطرة معرفة الميزان التي أنزلها الله وبينها رسله، والقرآنُ والحديث مملوء من هذا يبين الله الحقائق بالمقاييس العقلية والأمثال المضروبة، ويبين طرق التسوية بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين"[39].

ولقد جاءت السنة النبوية المطهرة بالعديد من الأمثال فها هو صلى الله عليه وآله وسلم سيتخدم أسلوب ضرب الأمثال دعوة إلى الله وامتثالا لأمره عزّ وجل وترغيبا في ابتغاء مرضاته والشوق إلى الآخرة بصورة ضرب الأمثال، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله ما الدّنيا في الآخرة إلاَّ مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار يحيى بالسَّبَّابَة – في اليمِّ، فَلْينظر بم تَرجع؟»[40]، كما تضمن السنة العديد من الأمثال في توضيح صور الإسلام وأحكامه وتقريب المعاني الخاصة بأقواله وبتشريعاته.

خاتمة:

وبعد هذه الجملة في رحاب الدعوة ومع دراسة أحد أساليبها ألا وهو أسلوب ضرب الأمثال توصلت إلى النتائج التالية:

- يعد أسلوب ضرب الأمثال من أنجع الأساليب الدعوية التي أقرها القرآن الكريم في حيز الخطاب الديني والخطاب الدعوي خصوصا.
- أدى أسلوب ضرب المثل إلى استجابة كبيرة للخطاب الدعوي مما انعكس إيجابا في اتساع حيز الدعوة وجغرافية الإسلام.
- ساهم في تقريب المعاني وإيضاح المفاهيم وخاصة المسائل الإيمانية والعقائدية.
- لقد لخص ضرب المثل العديد من المسائل في عدد قليل من الآيات وذلك من دلالة الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم.
- يعد ضرب المثل دليلا واضحا للتفريق بين الحق والباطل.

– لأسلوب ضرب الأمثال فوائد جمة وعميمة على مستوى الدعوة وذلك لتحقيق الهداية والإقناع بالحجج والبراهين.

الهوامش: (حجم 12 سميك)

-

[1]– أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (1979م). **مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر، ج5. ص296.

2– أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية. ج2. ص563.

3– أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (2009م)، **مفردات ألفاظ القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ط4، ص759.

4– ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص361.

5– أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري،، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية: بيروت ، ط1، 1998، ص255.

[6]– ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ص258.

[7]– المرجع نفسه، ص258-259

[8]– عبد الرؤوف بن المناوي: التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، دار عالم الكتب: القاهرة ، ط1، 1990م، ص156.

9– علي محفوظ: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار الاعتصام، ط:9، 1979م، ص17.

10– محمد الغزالي: مع الله دراسة في الدعوة والدُّعاة، نهضة مصر للطِّباعة والنشر، ط:6، 2005م، ص13.

11– سورة هود: 24

12– سورة إبراهيم: 24

13– سورة الروم: 28

14- العنكبوت: 43

15- الحشر: 21

16- عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (مع نماذج من بعض الأمثال)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط1، 1424هـ/2003م، ص11.

17- المرجع نفسه، ص12.

18- المرجع نفسه، ص12، 13.

19- سورة يونس الآية 24

20- عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع: الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، مرجع سابق، ص13.

21- الإسراء: 89-92

22- إبراهيم: 44-46

23- الإسراء: 41

24- الكهف: 54

25-سورة البقرة الآية 17.

26- حمدي كوكب: **الشَّواهد الشعرية في التفاسير القرآنية**، شبكة ديوان العرب، تاريخ الإضافة: الاثنين7 كانون الثَّاني/يناير 2013م، تاريخ التصفح: 2017/02/12م، رابط الموضوع http://www.diwanalarab.com

27- عبد الله محمود شحاته: علوم القرآن، دار غريب، القاهرة، د.ط، 2002م، ص163.

28- الكهف: 45

29- عبد الله محمود شحاته: علوم القرآن، مرجع السَّابق، ص165

30- الفرقان: 67.

31- عبد الله محمود شحاته: علوم القرآن، مرجع السَّابق، ص165

32- النجم: 58.

33- البقرة: 26

34- الأعراف: 177.

35- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، وتعاضدهم، رقم الحديث: 2586، (دار الحديث: القاهرة، ج4، ط1، 1991م) ص1131.

36- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب البيوع، باب في العطَّار وبيع المسك، رقم الحديث: 2101، (دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ط1، 2002م)، ص506.

37- دزوار صلاح الدين محمد طاهر: **أهمية ضرب الأمثال في الدعوة إلى الله تعالى**، مجلة الحوار ،تاريخ الإضافة: 3 أكتوبر 2017م، تاريخ التصفح: 2021/12/11م، رابط الموضوع
http://alhiwarmagazine.blogspot.com/2017/10/blog-post_13.html

38- المرجع نفسه.

39- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: الرد على المنطقيين، تحقيق الشيخ عبد الصمد شرف الدين الكتبي، راجعه وأعده لهذه الطبعة محمد طلحة بلال منيار، مؤسسة الريان، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م، ص427.

40- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الجنة وصفة نعيمها وصفة أهلها، باب فناء الدنيا، وبيان الحشر يوم القيامة، رقم الحديث: 2858، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الحديث، القاهرة، ط1، 1412هـ/1991م)،ص2193.